ماعت للسلام والتنمية وحقوق الإنسان
Maat For Peace, Development, and Human Rights

ضحايا الإرهاب

حقوق ضائعة وجهود منقوصة

إعداد
عبد الله ناصر

تحرير
د. شريف عبد الحميد

مقدمة

يظل الإرهاب يمثل أحد أخطر التحديات التي تواجه الحفاظ علي السلام وتحقيق أهداف التنمية المستدامة وإعمال حقوق الإنسان، وتحل الذكري السابعة لضحايا الإرهاب في 21 أغسطس 2024، وتأتي محملة بتركة ثقيلة وضعت علي كواهل ضحايا الإرهاب وأسرهم حول العالم، فلا يزال ضحايا الإرهاب والناجون منه يكافحون لإسماع أصواتهم في ظل الإهمال والنسيان الذي يعانون منه بمجرد تلاشي الأثر الفوري للهجمات الإرهابية، خاصة إذا ما اقترنت بتدهور الأوضاع الاقتصادية للعديد من دول العالم، والذي ينعكس مباشرة علي ضعف الموارد والقدرات اللازمة للوفاء بالاحتياجات المتوسطة والطويلة الأجل لضحايا الإرهاب بما يضمن إعادة دمجهم في المجتمع وتأهيلهم بشكل كامل.[1]

وتأتي الذكري السابعة لضحايا الإرهاب في ظل تطورات عالمية تتمثل بالأساس في استمرار الحرب الروسية الأوكرانية واقترابها من إتمام عامها الثالث علي التوالي، وهي حرب ألقت بظلالها بشكل مباشر وغير مباشر علي العمليات الإرهابية والجماعات المسلحة حول العالم، كما تأتي متزامنة مع اشتعال النزاعات والصراعات في منطقة الشرق الأوسط منذ أكتوبر 2023 مع إعادة اندلاع الصراع المسلح بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وهو الصراع الذي ألقي بظلاله علي العالم بأكمله وخاصة منطقة الشرق الأوسط التي عانت ولا تزال من ويلات الإرهاب لسنوات طويلة وخلف آلاف الضحايا وترك آثاراً هائلة تمتد لعشرات السنوات بسبب قتل وإيذاء وإصابة آلاف الضحايا الأبرياء من جميع الثقافات والأعراق والمعتقدات الدينية حول العالم. [2]

وتستعرض الدراسة مجموعة من المحاور الأساسية، التي تدور حول التعريف بضحايا الإرهاب وتأثير العمليات الإرهابية علي الضحايا، ثم تتطرق الدراسة إلي حقوق ضحايا الإرهاب، والتي تنقسم ما بين الحقوق العامة التي يشترك فيها ضحايا الإرهاب مع ضحايا الجرائم الأخرى، والحقوق الخاصة بضحايا الإرهاب، إضافة إلي الحق في الوصول إلي العدالة، والحق في تذكر ضحايا العمليات الإرهابية، والحق في الوصول إلي المعلومات وتقييم تطبيق تلك الحقوق في الواقع ومدي تمتع ضحايا الإرهاب بها.

كما تتناول الدراسة أحدث الجهود والمبادرات التي تستهدف دعم ضحايا الإرهاب، والتي تتنوع ما بين الجهود والمبادرات التي تقودها الأمم المتحدة أو المنظمات الإقليمية والمحلية، وتلك التي تقودها الدول والحكومات بمفردها، وفي هذا الإطار تركز الدراسة علي مبادرتين أساسيتين، نفذت الأولي في الفلبين بالتعاون بين المنظمات الدولية ومنظمات المجتمع المدني والحكومة الفلبينية، ونفذت الثانية في موزمبيق عقب ارتفاع أعداد ضحايا الإرهاب خلال السنوات القليلة الماضية. كما تستعرض الدراسة دور ضحايا الإرهاب أنفسهم في مكافحة جرائم الإرهاب والتصدي لها باعتبارهم الفئة الأكثر تأثراً بتلك الجرائم ومعايشة لها، ثم تختتم الدراسة بتقديم مجموعة من التوصيات.

[1] International Day of Remembrance and Tribute to the Victims of Terrorism, https://tinyurl.com/2s3pus7e

[2] الممارسات الجيدة بشأن دعم ضحايا الإرهاب في اطار العدالة الجنائية، مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة، 2016، https://tinyurl.com/3e45msxy

التعريف بضحايا الإرهاب وتأثير العمليات الإرهابية عليهم

يقصد بضحايا الإرهاب، الأشخاص الذين يتأثرون بشكل مباشر بجريمة إرهابية وكذلك عائلات الأشخاص الذين يموتون نتيجة تلك الجريمة، واللذين يحق لهم الحصول على بعض خدمات الدعم وتدابير الحماية، والجريمة الإرهابية هنا تعني الجريمة المتعمدة والمرتكبة بقصد ترويع السكان أو مجموعة معينة منهم[3]، وتعرف المادة الثانية من التوجيه الأوروبي لحقوق الضحايا، الضحية الإرهابية بأنها شخص طبيعي تعرض للضرر االجسدي أو العقلي أو العاطفي أو الضرر الاقتصادي نتيجة التعرض لجريمة إرهابية، أو عائلات هؤلاء الأشخاص.[4]

وتؤثر العمليات الإرهابية علي ضحاياها بشكل كبير خاصة ما يتعلق بحرمانهم من أهم وأقدس حقوقهم وهو الحق في الحياة والحق في التمتع بصحة جيدة والحق في العيش الكريم، وتأتي التأثيرات الجسدية كواحدة من أبرز معالم تأثير الهجمات الإرهابية علي ضحاياها، و تتمثل بالأساس في الوفاة أو الإصابة التي تختلف درجتها حسب نوع السلاح المستخدم في العملية الإرهابية وحجم الإجراءات الوقائية المتخذة في تلك الحالات، كما تتمثل التأثيرات النفسية والعقلية في شعور الضحايا بالخوف والقلق المستمر .[5]

وتزداد خطورة تأثير العمليات الإرهابية مع تزايد تلك العمليات في حد ذاتها، فعلي سبيل المثال في منطقة غرب أفريقيا وحدها تم تسجيل أكثر من 3500 هجمة إرهابية خلال عام 2023، وهو ما يقرب من نصف الأعمال الإرهابية في جميع أنحاء العالم[6]، مخلفة نحو 7 ألاف ضحية، وهذه الهجمات لم تكن مقتصرة على خسائر بشرية فحسب، بل تسببت في أزمات إنسانية واسعة النطاق، حيث نزح 2.4 مليون شخص وأغلقت نحو 9 آلاف مدرسة، وهو ما عمق من معاناة المنطقة وخاصة ضحايا الإرهاب وأسرهم. [7]

حقوق ضحايا الإرهاب

من الناحية القانونية يحظي ضحايا الإرهاب بأنواع مختلفة من الحقوق، سواء تلك التي تقرها المواثيق والمعاهدات الدولية والإقليمية أو حتي التي تنص عليها دساتير الدول وتشريعاتها وقوانينها المحلية، وهذه الحقوق منها حقوق عامة يشترك فيها ضحايا الإرهاب مع غيرهم من ضحايا الجرائم الأخري، ومنها حقوق خاصة تتعلق بضحايا الإرهاب علي وجه التحديد، وبينما يمثل الارهاب أحد أخطر الجرائم وأشدها فظاعة، وذلك باعتبار أن جريمة الإرهاب في حقيقتها تشمل أنواع مختلفة من الجرائم، مثل القتل والإيذاء والاختطاف والتخريب والتدمير العام، فإنه ونظراً لكون الإرهاب هو أحد أنواع الجرائم، فإن ضحايا الإرهاب من المفترض أن يتمتعون بنفس الحقوق التي يتمتع بها ضحايا الجرائم الآخري، والتي تتمثل بشكل أساسي في الحق في تلقي معلومات عن حقوقهم والاطلاع علي أخر تطورات قضاياهم وفهم المسار القانوني والحقوقي لها مع إمكانية المشاركة في المسار القضائي وتلقي شتى أنواع الحماية أثناء تلك المشاركة وبعدها، إضافة إلي الحق في المطالبة بتلقي تعويض من الجاني سواء كان شخصاً أو منظمة أو حكومة، ويضاف إلي ذلك مجموعة أخري من الحقوق تختص بضحايا الإرهاب أكثر من ضحايا الجرائم الأخرى، مثل

[3] Terrorist crimes and victims of terrorism, brottsoffermyndigheten, https://tinyurl.com/yc82cntu
[4] Eu handbook on victims of terrorism, EU Centre of Expertise for Victims of Terrorism, January 2021, https://tinyurl.com/4unrd7nw
[5] OP.Cit, https://tinyurl.com/4unrd7nw
[6] 4آلاف ضحية في 2023.. أفريقيا تحتضن نصف أنشطة الإرهاب عالميا، سكاي نيوز عربية، 22 فبراير 2024، https://tinyurl.com/mw363ys6
[7] قوة إيكواس لمكافحة "الإرهاب" هل تفلح فيما فشلت به مبادرات سابقة؟ الجزيرة، 15 مايو 2024، https://tinyurl.com/5995fjy3

العلاج الطبي الملائم والدعم النفسي خاصة في حالة الصدمة، والاستشارة والمعلومات المتعلقة بالمسائل القانونية أو العملية أو الاقتصادية ذات الصلة، والمساعدة لتقديم طلب التعويض في الدولة التي وقعت فيها الجريمة، وإجراءات حماية الضحايا وأفراد أسرهم،[8] وتركز الدراسة علي ثلاثة حقوق من الحقوق الأصلية لضحايا الإرهاب، وذلك علي النحو التالي:-

1- الحق في الوصول إلي العدالة

يعد الحق في الوصول إلي العدالة من أجل وأقدس حقوق ضحايا الإرهاب، فعلاوة علي أنه حق أساسي من حقوق الإنسان ومبدأ من مبادئ سيادة القانون، وتشير إليه العديد من الصكوك القانونية الدولية والإقليمية لحقوق الإنسان، والذي يشمل الحق في الانتصاف الفعال والحق في محاكمة عادلة، ولممارسة هذا الحق، يقع على عاتق الدول التزام بتوفير السبل الكافية للضحايا للوصول إلى النظام القضائي وعرض قضاياهم أمام سلطة قضائية مختصة ومستقلة، وغالبًا ما تؤدي الأعمال الإرهابية إلى سقوط عدد كبير من الضحايا من جنسيات متعددة وتلحق بهم أنواع مختلفة من الضرر المادي والنفسي والعقلي والعاطفي، ويكون لهذه الأضرار تأثير طويل الأمد على حياة الضحايا، وبينما يحاول الناجون من العمليات الإرهابية إعادة بناء حياتهم والتغلب على صدمة الإرهاب، فإن كثير من الدول لا تضمن دائمًا الدعم الكافي لهم ولأسرهم، وهو ما حدا بالجمعية العامة للأمم المتحدة في يونيو 2023 إلي اصدار قرار رقم 298/77 أثناء المراجعة الثامنة لاستراتيجية الأمم المتحدة الدولية لمكافحة الإرهاب، والذي يسلط الضوء على الحاجة إلى ضمان الاحترام الكامل لحق ضحايا الإرهاب في الوصول إلى العدالة وآليات الانتصاف، ومع ذلك، لا تزال هناك العديد من العقبات التي يتعين التغلب عليها، وعلي رأسها، غياب القوانين المنظمة لمشاركة الضحايا في إجراءات سير قضايا الإرهاب التي وقعوا ضحية لها، إضافة إلي نقص المعلومات وغياب المساعدة القانونية وعدم توفر الترجمة الفورية للضحايا الأجانب والذي يمكن أن يمنع ممارسة حق الضحايا في الوصول إلى العدالة. [9]

2- الحق في تذكر ضحايا الإرهاب

يعد الحق في التذكر من أهم حقوق ضحايا الإرهاب، ذلك أنه يضمن استمرار الدعم والمناصرة لهم بشكل دوري ومستمر، فإحياء ذكرى ضحايا الإرهاب أمر بالغ الأهمية لعملية تعافيهم، ويزيد من تعزيز التماسك الاجتماعي والدفاع عن القيم الديمقراطية، ويضمن هذا الحق مركزية دور ضحايا الإرهاب في سياسات الذكرى، ذلك أن شهاداتهم تشكل أداة قوية لزيادة الوعي بالعواقب الإنسانية للإرهاب ومنع التطرف،[10] وتحاول بعض المنظمات الدولية والإقليمية والمحلية إضافة إلي بعض الدول إحياء ذكري ضحايا الإرهاب عبر تخصيص يوم محدد أو عدة أيام لإحياء تلك الذكري، ومن أبرزها اليوم الدولي لإحياء ذكري ضحايا الإرهاب واجلالهم، الذي تنظمه الأمم المتحدة في 21 أغسطس من كل عام، واليوم الأوروبي لإحياء ذكري ضحايا الإرهاب الذي يوافق 11 مارس من كل عام، وتحاول بعض الدول تخليد ذكري ضحايا الإرهاب عبر افتتاح معارض ونصب تذكارية تبقي شاهدة علي العمليات الإرهابية، مثل افتتاح معرض الذكريات في فيتوريا بأسبانيا في يونيو 2023، والذي تم بالتعاون بين مكتب الأمم المتحدة لمكافحة الإرهاب والمركز التذكاري

[8] جرائم الإرهاب وضحايا الإرهاب، https://tinyurl.com/4y3776ta

[9] Victims of terrorism and their right to access justice: Challenges and solutions, 26 Septmber 2023, https://tinyurl.com/mrymexhf

[10] Victims of terrorism: Council stresses need to improve support and recognition, European council, 5 December 2023, https://tinyurl.com/5a7ke3jp

الإســباني لضــحايا الإرهاب،[11] ويعد الاحتفال بذكرى ضــحايا الإرهاب حول العالم فرصــة حقيقية للاعتراف بالضــحايا والناجين وتكريمهم ودعمهم، وفي هذا الإطار يجب اســتذكار المقولة الخالدة للأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش في افتتاح اليوم الدولي لإحياء ذكرى ضــحايا الإرهاب وإجلالهم عام 2018، حينما قال أن "إسماع أصوات الضحايا أمرٌ بالغ الأهمية لمواجهة الخطاب الإرهابي". [12]

3- الحق في الوصول إلي المعلومات

يمثل الحق في الوصـول إلي المعلومات أهمية خاصـة لضـحايا الإرهاب، و يعني توفير المعلومات الصـحيحة والكافية في الوقت المناسـب لضـحايا الإرهاب حول الهجوم الإرهابي وتفاصـيله، ويقع علي عاتق السـلطات الحكومية في الدول مهمة توفير تلك المعلومات، وذلك من أجل طمأنة الضــحايا ومســاعدتهم في فهم واتخاذ القرارات الصحيحة، وغالباً ما تكون المعلومات التي توفرها الحكومة أكثر مصداقية عند اتساقها مع بيانات وتقارير منظمات المجتمع المدني والمنظمات الحوقية المتخصصة وذات الشأن. [13]

جهود ومبادرات دعم ضحايا الإرهاب

تبقي الحقيقة ماثلة للعيان في أن ضــحايا الإرهاب هم مواطنون أبرياء يجدون أنفســهم في المكان الخطأ وفي الوقت الخطأ، ويتم اســتهدافهم بشــكل عشــوائي في هجمات وحشــية لا تراعي أي معايير أخلاقية أو مجتمعية أو قانونية أو حتي عرفية، ويستغرق العديد من الضحايا سنوات للتعافي من إصاباتهم أو التأقلم مع خسائرهم، وبدون مساعدة يمكن أن تبقى الصدمة مع هؤلاء الضحايا مدى الحياة، ومن هنا تبرز الأهمية المقدسة لمبادرات وبرامج وجهود دعم ضحايا الإرهاب سواء تلك التي تقودها الأمم المتحدة أو المنظمات الإقليمية والمحلية أو تلك التي تطلقها حكومات الدول وسلطاتها المختلفة. [14]

وقادت الأمم المتحدة بشكل أساسي مبادرات دعم ضحايا الإرهاب منذ مطلع العام 2024، وذلك من خلال البرنامج الدولي المعني بضــحايا الإرهاب التابع لمكتب الأمم المتحدة لمكافحة الإرهاب ومكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة، وهي مبادرات تمت بالإشــتراك والتعاون مع منظمات المجتمع المدني الدولية منها والإقليمية والمحلية، ففي يناير 2024 أطلق البرنامج الدولي المعني بضــحايا الإرهاب بالتعاون مع حكومة الفلبين، مبادرة الدعم الفني لحقوق الإنســان، وركزت المبادرة على تطوير التشــريعات وخطط المســاعدة الوطنية لدعم ضــحايا الإرهاب والناجين منه باســتخدام الأحكام التشــريعية النموذجية لدعم حقوق واحتياجات ضحايا الإرهاب، وتعد المبادرة استجابة مباشرة لقرار الجمعية العامة رقم 305/73، الذي يدعو الدول الأعضاء في الأمم المتحدة إلى وضع مبادرات وخطط مساعدة وطنية شاملة لدعم ضحايا الإرهاب، وذلك من أجل توفير حلول شاملة لمعالجة احتياجات الضحايا والناجين من الإرهاب، ولقد تم اطلاق المبادرة بمشاركة أكثر من 50 مشاركًا من حكومة الفلبين ومنظمات المجتمع المدني وفريق الأمم المتحدة القطري وضحايا الإرهاب والناجين منه، وكان من بين النتائج الرئيسية للمبادرة اتفاق المشاركون على إنشاء

[11] La Oficina de Lucha contra el Terrorismo de la ONU y el Centro Memorial de las Víctimas del Terrorismo presentan la exposición "Memorias, interior, 7 june 2023, https://tinyurl.com/4taddum7
[12] Amplifying Voices of Victims Critical to Countering Terrorist Narratives, Stresses Secretary-General, as International Remembrance Day Exhibition Opens, 17 August 2018, https://tinyurl.com/2r9yek4s
[13] Ibid, https://tinyurl.com/4unrd7nw
[14] Victims' Voices, Silencing Terrorism: A Story of Impact to Prevent Terrorism, https://tinyurl.com/mbhb9mnj

آلية مشـــتركة تشـــمل المجتمع المدني وضـــحايا الإرهاب من أجل الاســـتجابة بشـــكل أفضـــل لاحتياجات الضحايا.[15]

وفي هذا الصـــدد تبرز مبادرة المعهد الوطني لإدارة الكوارث في موزمبيق، والتي تضـــمنت عدة اســـراتيجيات لدعم ضـــحايا الإرهاب النازحين داخليًا في مقاطعة كابو ديلجادو الشـــمالية، واللذين بلغ عددهم حوالي 1.2 مليون نازح داخلياً معظمهم جاء من مناطق تضـــررت بشـــدة من الإرهاب، وعلي الرغم من الصـــعوبات التي واجهتها المبادرة خاصة ما يتعلق بالجهد الهائل للتخفيف من الصدمة التي يواجهها الضحايا نتيجة الفظائع التي ارتكبها الإرهابيون، فقد نجحت المبادرة في إعادة 600 ألف شـــخص بالفعل إلى مناطقهم الأصـــلية، وذلك بالتعاون مع المنظمة الدولية للهجرة في موزمبيق، في إطار الخطة الاســـتراتيجية الدولية للمنظمة الدولية للهجرة للفترة 2024-2028، والتي تســـعي إلى معالجة دوافع الصـــراع والنزوح الناتج عن الكوارث والعمليات الإرهابية. [16]

دور ضحايا الإرهاب في مكافحة الإرهاب والتصدي له

يلعب ضـحايا الإرهاب أنفسـهم أدواراً فاعلة ومؤثرة في مكافحة جرائم الإرهاب والتصـدي لها، وهو ما أكدت عليه الجمعية العامة للأمم المتحدة أثناء اســـتعراض اســـتراتيجيتها الدولية لمكافحة الإرهاب، حيث أقرت بالدور الذي يمكن أن يقوم به ضحايا الإرهاب، بما في ذلك مكافحة ما ينطوي عليه الإرهاب من عناصر إغواء، ونقل الخبرات التي تعرضـــوا لها بما يتيح منع تكرار وقوع جرائم الإرهاب علي الأقل بذات الطرق الســـابقة، ونظراً لكون ضحايا الإرهاب هم الأكثر معرفة بمعاناتهم وملامسة لها، فيبقي هؤلاء الأكثر مطالبة بمعالجة قضـــاياهم وطرحها بالشـــكل الأمثل علي الدوائر المجتمعية ودوائر صـــنع القرار، وهو ما يعني أن هؤلاء أنفسهم هم الضامن الأول والدافع الأقوي وراء اتخاذ حكومات الدول ومنظمات المجتمع المدني المختلفة للعديد من الإجراءات التي تحول دون وقوع حوادث الإرهاب مرة أخري، [17]ولذلك فإن ضـحايا الإرهاب والناجون منه يلعبون دورًا مهمًا في منع ومكافحة التطرف العنيف، فهم صـــوت موثوق به في الحرب ضـــد الإرهاب والتطرف، ومع ذلك يقع علي عاتق المتعاملون مع ضـحايا الإرهاب والناجون منه عبء اسـتكشـاف الطرق المختلفة التي يمكن من خلالها للضـحايا والناجين أن يكونوا صـوتاً موثوقاً في الحرب ضـد التطرف والإرهاب، حيث أن ثمة أخطار في إشراك هؤلاء الضحايا في أعمال منع ومكافحة التطرف العنيف، فالتجربة المباشرة لهجوم إرهابي علي شـــخص أو أحد أقاربه يصـــيب العديد من الضـــحايا بالصـــدمة، وغالبًا ما يحملون هذه الصـــدمة معهم لســـنوات عديدة بعد الهجوم، ولذلك فإن مشـــاركتهم في أعمال منع ومكافحة التطرف العنيف تهدد بإثارة الصدمة مرة أخرى، والتي يمكن أن تحدث في لحظات غير متوقعة، ويستلزم ذلك العمل بشكل دائم علي منع تعرض الضحايا والناجين للصدمات مرة أخرى خاصة أولئك المشاركين في أعمال منع ومكافحة التطرف العنيف. [18]

[15] United Nations and Philippines Launch New Project To Support Victims Of Terrorism Through Legislative Frameworks,16 january 2024, https://tinyurl.com/jr5ce4s9

[16] INGD drawing up strategies to support victims of terrorism, aimnews, 14 Augut 2024, https://tinyurl.com/4fb9vh9v

[17] دور الضحايا في مكافحة الإرهاب، مكتب مكافحة الإرهاب، https://tinyurl.com/44ybevw7

[18] RAN VoT WG meeting - Ensuring the well-being of victims/survivors of terrorism involved in P/CVE, 21 November 2023, European Commission, 15 March 2024, https://tinyurl.com/cb36bnzj

توصيات

في هذا المناسبة توصي مؤسسة ماعت للسلام والتنمية وحقوق الإنسان بما يلي:

- ضرورة سن تشريعات على المستويين المحلي والدولي تكفل رعاية ودعم ضحايا العمليات الإرهابية، بما في ذلك تطوير التشريعات ذات الصلة والتي تتعلق بمساعدة هؤلاء الضحايا ودعمهم في كافة النواحي القانونية والاقتصادية والاجتماعية والمالية والصحية وغيرها.
- إعادة تأهيل ضحايا العمليات الإرهابية ودمجهم في مجتمعاتهم، بما يمكن من الحفاظ على نسيج تلك المجتمعات.
- تعزيز سياسات ومبادرات دعم ضحايا الإرهاب للتغلب علي معاناتهم الجسدية والنفسية، واستخدام تلك المبادرات والسياسات كأداة لمنع التطرف والإرهاب.
- إتاحة الفرصة أمام ضحايا الإرهاب للمشاركة في وضع سياسات مكافحة الإرهاب والتصدي لها، سواء علي المستويات المحلية أو المستويات الإقليمية والدولية، والاضطلاع بدور حاسم في الجهود الرامية إلي مكافحة التطرف العنيف المفضي إلي الإرهاب من خلال اسماع أصواتهم إن أرادوا ذلك.
- تعزيز التضامن مع ضحايا الإرهاب وزيادة الوعي بتجاربهم، وإسماع أصواتهم والاعتراف بدورهم في منع التطرف العنيف ومكافحته.
- زيادة قدرات الدول ومنظمات المجتمع المدني لدعم ضحايا الإرهاب.
- العمل بشكل دائم علي منع تعرض ضحايا الإرهاب للصدمات المتكررة خاصة أولئك المشاركين في أعمال منع ومكافحة التطرف العنيف.